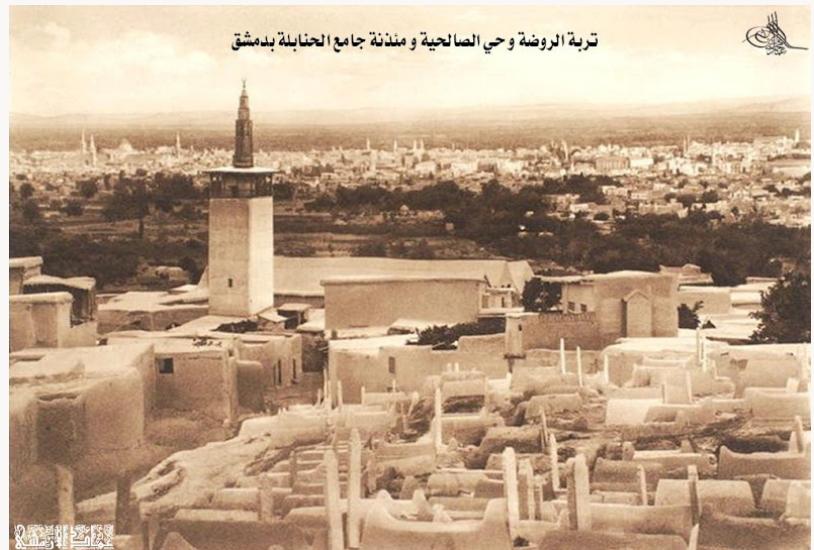




موقع جامع الحنابلة

يقع جامع الحنابلة خارج أسوار مدينة دمشق القديمة، في زقاق الحنابلة بمنطقة أبو جرش، محاذياً لشارع الشيخ عبد الغني النابلسي والشيخ محى الدين بن عربي بالجبة، عند سفح جبل قاسيون الشرقي بصالحية دمشق. وهو جامع تاريخي. هو أول جامع أيوبى في دمشق وأقدمهم بعد الجامع الأموي



للجامع عدة أسماء منها:

جامع الحنابلة: لأن أبناء الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي هم الذين أسسوا بناءه ، وكانوا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكان وقفًا حنبلياً لذلك سمي بجامع الحنابلة.

الجامع المظفرى: نسبة إلى متم بنائه الأمير الملك المظفر أبو سعيد كوكبوري بن زين الدين بن علي بن بكتكين، أحد الملوك الأمجاد والكراء الأجواب صاحب أربيل، وكان الأمير مظفر الدين زوجاً للصاحبة خاتون شقيقة السلطان صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله. وهي أقدم تسمية للجامع وأكثرها هي أقدم تسمية للجامع وأكثرها رواجاً عند المؤرخين.

جامع الجبل: سماه النعيمي بهذا الاسم لأنه الجامع الوحيد الكبير الموجود في جبل قاسيون. أو لأنه بالقرب من جبل

قاسيون.

جامع الصالحين أو الصالحية: نسبة إلى حي الصالحية أو لأنها "مسكن الصالحين".

جامع الصالحاني: نسبة لأبي صالح الحنفي والذين ينتسبون إليه المقادسة مؤسسو الجامع، وقد سميت أيضاً الصالحية نسبة لاسمها.

بناء جامع الحنابلة:

وقد بوشر ببناء جامع الحنابلة في الخامس عشر من شوال 597 هـ الموافق 19 يوليو 1201 م، كریف إسلامی لدیر الحنابلة والمدرسة العُمرية بدمشق.

وقد دعا لبناء هذا الجامع المبارك الشيخ أبو عمر بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أحد أئمة المقادسة، الذي هاجر من القدس سنة 550 هـ، وقد تولى أمر البناء وإنفاق عليه الشيخ أبو داود محسن الفامي عام 598 هـ / 1202 م تحت رعاية ومناصرة الشيخ أبو عمر، لكن الأموال التي جمعوها لم تكن كافية لمتابعة البناء، فبلغ الخبر مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل أن الحنابلة بدمشق شرعوا في عمل جامع بسفح قاسيون، وإنهم عاجزون عن إتمامه، فأرسل الأمير على فوره مع حاجب من حجاته يسمى شجاع الدين الإربلي ثلاث آلاف دينار أتابكية، لتمويل العمارة وأخبرهم أن ما تبقى منها، يُشتري به أو قافاً للمسجد توقف عليه.

فأكمل الشيخ أبو عمر المقدسي بناءه، وجعل منبره العظيم المميز ذا ثلاثة درجات كدرج منبر النبي -صلی الله علیه وسلم، وهو أول من ولی خطابته، وانتهى البناء بمؤازرة الأمير مظفر الدين، حيث تم وضع آخر حجر ببناء المئذنة في السابع عشر من رجب سنة 610 هـ / الثاني من كانون أول 1213 م.

ثم إن الملك المظفر أبو سعيد كوكبوري عاود فأرسل ألف دينار لسياق الماء إلى الجامع من قرية بربة، فمنعهم الملك المعظم بن سيف الدين أيوب صاحب دمشق، واعتذر لهم بأن في طريقه قبوراً كثيرة للمسلمين، فصنعوا له بئر ذو ماء زلال، ووقف عليه أوقافاً تقوم به، وما زال البئر باق إلى الآن ولكن للأسف قد جف ماؤه.

والمسجد يتضمن فناء وقاعة للصلوة على غرار الجامع الأموي. الساحة بها نافورة وإيوانان يقوم كل منهما على خمس قناطر قديمة.

وصف جامع الحنابلة:

بعد جامع الحنابلة من أقدم جوامع مدينة دمشق التي بنيت في العصر الأيوبي، وقد تم تصميم وخطيط مساقط الجامع، مشابهاً لتصميم وخطيط مساقط الجامع الأموي الكبير بدمشق.

فواجهة الجامع الأمامية الغربية حجرية فيها نافذتان كبيرتان تطلان على زقاق الحنابلة، ويتوسطها الباب الغربي الكبير عليه لوحة التأسيس.

ويتصل المدخل الرئيسي للجامع برواق جميل ذو أربعة قناطر كبيرة يحملن قبة صغيرة، وهذه القناطر من أساس بناء الجامع القديم نوات الأحجار القديمة، كما يتصل رواق المدخل مع الجدار الشمالي لحرم بيت الصلاة وهو مبني من الحجارة المتناوبة الأبلقية الشكل (الحجارة البيضاء والسوداء البازلتية والمزية أي اللون الرماني)، والواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من صحن المسجد خلف الرواق المقنطر.

صحن جامع الحنابلة:

كان صحن الجامع المستطيل الشكل وال موجود في الجهة الشمالية للبناء مع المنارة المبنية في الضلع الشمالي من الصحن مفروش بالحجارة العاديه، وتشبه تقسيماته تقسيمات وأجزاء صحن الجامع الأموي الكبير من حيث أروقة الصحن المحمولة

على قناطر وكذلك النوافذ القوسية فوق القناطر، بالإضافة إلى شكل ميضاً المسجد القديمة، و توضع مكان المؤذنة كما هي مؤذنة العروس بالأموي.



View of courtyard with the wall of the prayer hall seen on the left

أرضية الجامع:

أرضية الجامع تغيرت بعد الترميمات التي طرأت عليها، فصارت مفروشة بالرخام الأبلقى البديع ذو الأشكال الهندسية المتداخلة، و غابت مظلة الميضاً بوسط صحن الجامع، وصار فيها فسقية مياه (بحرة)، مربعة الشكل مطوقة بعقد رخامي محمولة على أرضية الصحن يصب فيها الآن مياه عين الفيجة.

أما الأعمدة القديمة المتراكبة بصحن الجامع، فهي من بناء المسجد القديم وقد شيدت آنذاك آخذة طابع الأعمدة الرومانية أو البيزنطية القديمة، بالإضافة إلى الأقواس المبنية فوق الأعمدة والمتعددة، والتي يعلوها نوافذ قوسية الشكل.



يوجد في شرقي وغربي الصحن إيوانان عظيمان يقوم كل منهما على خمس قناطر وقواعد وأعمدة قديمة، وفي الجهة الشمالية إيوان يقوم على خمس قناطر من ورائها ثلاثة قناطر أخرى، والتي جانبها المنارة المربعة الجميلة. كما أن للجامع باب شرقي مقابل الباب الغربي.

قبلة جامع الحنايلة:

يدخل إلى حرم بيت الصلاة (القبلة) لجامع الحنايلة من باب كبير إلى يمينه بابان صغيران وثالث أصغر. وكذلك إلى يساره، وهناك نوافذ محيطة بالمدخل الرئيسي فوق الأبواب من جهة الحاجط الشمالي والغني باللوحات المنحوتة الغنية بالزخارف الجصية الأنique على هيئة نباتات زهرية مرسومة بشكل فني وعليها رسومات داخل القوصرة، وهي مثلث في أعلى واجهة المبنى، وقد انمحى معظمها ولم يبق منها الآن إلا ما على الباب الأيمن الثاني.

والحرم نفسه مضاء من خلال نوافذ موضوعة داخل الحجارة الضخمة بشكل منظم متناسق الأبعاد مع أرضية المسجد، و الجدار الجنوبي متآخي مع النوافذ التي تم دمجها من الزجاج المعشق والملون مع بعض من النوافذ العلوية ومضاء من السقف الملتحم مع الجدار الجنوبي.

والقبلة قائمة تحت ثلاثة جملونات خشبية مركبة على ثلاثة مجموعات من العقود الحجرية، ومجازه الأوسط القاطع على ثلاثة عقود أيضاً مبني على شكل جمالون أو مثلث أو هرم، ضلعاه يستندان إلى مجموعتي العقود وتحتها خمس قناطر، ومن أمامها خمس أخرى، وهي مقسمة إلى ثلاثة أجنحة "بائكات" (البائكة مجموعة عقود مبنية على اتجاه واحد)، موازية لحائط

القبلة، يقطعها مجاز قاطع منحرف قليلاً إلى الغرب، مدعاة برتل من الركائز الضخمة الحاملة لقناطر الحجرية المساعدة والملتحمة مع الأعمدة الخشبية للسقف كما هو الحال في الجامع الأموي، ولها شباكان عظيمان إلى زفاف الحنابلة، وآخران إلى طريق المسكى، وأربعة جنوبيّة تطل على الدور والبيوت العربية القديمة ويوجد حالياً داخل كل شباك جهاز تكيف حيث قد حجب رؤيتهم، وفي جدار القبلية سدة خشبية ذات زخارف بدعة وكذلك فوق الشباكين الشرقيين كوى بدعة الزخرفة من الزجاج.

حراب مسجد الحنابلة:

أما محراب جامع الحنابلة فهو بديع من الحجر، ولكنه مشوه بالدهان وتم تحديه في العصر العثماني، مرتفع القامة محفور في حائط القبلة يحيطه إطار مزخرف بشكل هندسي مزين بجملة من الآيات القرآنية، مكتوبة بأجمل أنواع الخطوط العربية ومتوج بمقرنصات على شكل نصف قبة، ومحاط بأعمدة صقلية، ونقش في أعلى المحراب: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَائِنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} [النساء: 103].

على جانب المحراب يوجد منبر الجامع؛ خشبي الصنع أية من آيات الفن الخشبي المحفور، وهو من أقدم وأندر وأجمل المنابر الموجودة في بلاد الشام ومصر قاطبة بعد منبر صلاح الدين الأيوبي، الذي حرقه الصهاينة في حريق المسجد الأقصى المبارك في 21 آب / أغسطس 1969م، وقد صُنِع منبر جامع الحنابلة في عام 604 هـ الموافق 1207 م حسبما تشير إلى ذلك الكتابة التاريخية المحفورة فوق باب المنبر مباشرة.

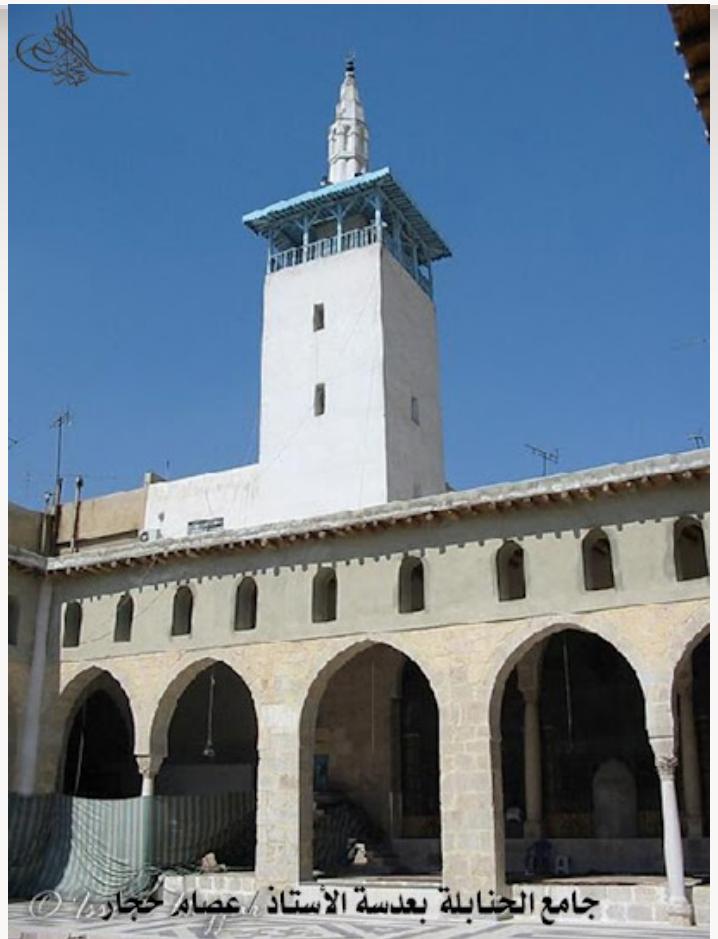
وهو واضح للعيان في نقوشه ويدل على أناقة وعراقة في صياغة الخشب المصنوع منه والمعشق والمتسابك بنقوش معقدة هندسياً ومشغولة على هيئة نباتات زهرية.

سقف مسجد الحنابلة:

سقف الجامع مصنوع من الخشب تغطيه طبقة من التبن والكلس، وهو محكم الصنع يقي المسجد ويحميه من أمطار الشام الغزيرة. والجدير بالذكر أن حرم المسجد لا يوجد فيه غارب أو قبة كما هو الحال في الجامع الأموي وجامع التوبه.

مئذنة جامع الحنابلة:

ذكرت بعض المصادر التاريخية أنه كان لجامع الحنابلة مئذنتان جنوبية وشمالية، ولم يبق منها حالياً إلا الشمالية وتقع في آخر الرواق الشمالي للجامع، وبنيت على نسق مئذنة العروس في الجامع الأموي.



وهي عبارة عن مئذنة بسيطة مطلية بالجص الأبيض خالية من المقرنصات وبقية العناصر التزيينية، وهي ذات جذع مربع متقوس في عمارته ضخم في محيطه، والمئذنة طويلة شاهقة الارتفاع في جذعها السفلي يتخللها نوافذ طولية ضيقة وتعلوها شرفة خشبية وحيدة ومربعة أخذت شكل الجذع، تغطيها مظلة خشبية أخذت شكل الشرفة متوجة بقمة حجرية منحوت فيها محاريب صغيرة صماء وصولاً لقمة المئذنة على شكل خوذة على شاكلة القمم الأيوبية.

والذي ينظر إليها من زقاق الحنابلة يراها قد توارت وحجبت بحكم التوسع والتطور العثماني حولها، وعلى عتبة مدخل المئذنة كتابة / على أنها عمرت عام 610 هـ / 1223 م.

حريق في جامع الحنابلة:

ذكر المؤرخ بن تغرى بردي في النجوم الظاهرة أنه في مستهل ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وسبعيناً للهجرة ما يوافقه 25 آب / أغسطس 1343 م، وقع حريق عظيم بسفح قاسيون احترق به سوق الصالحية حتى وصل الحريق إلى الجامع المظفري وكانت جملة مهولة من الدكاكين التي احترقت تقارب من مائة وعشرين دكاناً، ولم ير حريق من زمان أكبر منه ولا أعظم إنا لله وإنا إليه لراجعون .

ترميم جامع الحنابلة:

جرت أعمال ترميم كاملة للمسجد في عام 2002 م، وقد شارك بالمقدار الأكبر في ترميم هذا المسجد المحسن إسماعيل يوسف السعدي بتاريخ 17 محرم 1423 هـ الموافق 12 شباط فبراير 2002 م.

قال فيه الشعراً:

جامع الحنابلة أدى دوراً ريادياً في النهضة العلمية في بلاد الشام في الصالحية في دمشق أثر مبارك من آثار المهاجرين الذين تركوا بلادهم في فلسطين، هرباً بدينهم من الصليبيين، عام (550 هـ - 1155 م). وسميت الصالحية لأنها كانت مسكنًا

لصالحين

وفيه يقول الشاعر:

الصالحية جنة

والصالحون بها أقاموا

فعلى الديار وأهلها

مني التحية والسلام

ومسجدها أقدم آبدة أيوبية ما زالت ماثلة في دمشق الشام، قال فيه يوسف بن عبد الهادي:

بالله إن جزت الصوالح فاقرها

مني السلام ولا تزد عن صدرها

سوقى يزيد إلى محلة أنسها

والقلب مني دائمًا في ذكرها

فالسهم منها قد أصاب لمحجتي

والعين تجري مذ غدت في نهرها

والجامع المشهور شملي جامعاً

وبه مدار الأنس صبّ بنعرها

والروضة الفيحاء ليس كمثلها

وبها الفحول وسادة في قعرها

خصائصه وما قيل فيه:

هو أول جامع كبير بُني في دمشق بعد الجامع الأموي.

قال ابن عبد الهادي: «الجامع المظفري أول مباني الصالحية، وتالية المدرسة العمورية».

وقال ابن كان عنهم: «وخصوصهما بالذكر لما هو مشاهد من بركتهما لكل أحد، وأنه كثُر فيهما اشتغال الدروس، وهما محل الحفاظ والمحدثين، واجتمع فيهما ما لا يجتمع في غيرهما».

قال ابن طولون الصالحي: «مئذنة جامع الحنابلة وهي من آجر بطبقتين»

مكتبة الجامع:

كان للجامع مكتبة صغيرة موقوفة عليه، ومعظم الحنابلة كانوا يقرؤون دروسهم فيها، وتضم مجموعة من الكتب الفقهية الحنبلية، والكتب الحديثية، إضافة إلى كتب في العلوم الأخرى، غير أن النكبات التي أصابت الجامع أثرت فيها، ولعل صغرها يعود إلى وجود مكتبيتين كبيرتين متجاورتين في دار الحديث الضيائية والمدرسة العمورية.(الواقعة أمامه)

أئمة الجامع وخطباؤه:

الإمام والخطيب فيه هو مدرس ومقرئ ومربي ومحبٌ ومحبٌ، ولا يكتفي بما أُسند إليه بل يهب حياته كلها للعلم وخدمة الناس، وهذا ما قام به أول إمام وخطيب له وهو أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، عميد المقادسة في دمشق، ثم تابع عمله أخيه الإمام موفق الدين المقدسي، فأمامٌ وخطيبٌ ودرسٌ وساعدته ابنه الشيخ عيسى، ومن بعدهم تولى الإمامة أبناء أبي عمر

وأحفاده على مدى أكثر من ثلاثة مائة سنة، ثم قام بعد ذلك أئمة منهم ومن غيرهم.

التاريخ العلمي للجامع:

التاريخ العلمي للجامع المظفري يمثل نهضة علمية شاملة، قام بها المهاجرون المقادسة في الصالحية، على أن ظاهرة سمع الحديث، ثم قراءته ودرایة كانت من الأمور التي تميز بها المقادسة في الصالحية، حيث كانوا يسمعون أولادهم منذ الصغر، فكانوا يسعون إلى كبار العلماء من سكان دمشق والواردين إليها، كي يتلقوا عنهم في الجامع المظفري الذي درس فيه طائفة عظيمة من العلماء لا يمكن حصر أسمائهم في هذا المقال، ولكنني أقتصر على ذكر بعضهم، فمن مشاهير العلماء الذين سكنوا الصالحية، وسمعوا وأسمعوا في الجامع المظفري:

1- أحمد بن عبد الله بن أحمد المقدسي الحنفي (ت: 613هـ).

2- العماد بن عبد الواحد المقدسي الحنفي (ت: 614هـ).

3- عبد الرحمن بن محمد بن عبدالجبار المقدسي الحنفي (ت: 635هـ).

4- أحمد بن علي بن الحسن الجزري (ت: 743هـ).

5- يوسف بن محمد بن عبدالله المرداوي (ت: 769هـ).

6- محمد بن علي بن طولون الدمشقي (ت: 953هـ).

وكان لمجالس السمع الجماعي نصيب في الجامع المظفري وهي مجالس يشترك فيها عدد من الشيوخ، وربما شاركthem بعض الشيوخات في مجلس واحد لإسماع بعض كتب الحديث الشريف، وهذه الطريقة فريدة تميز بها علماء الصالحية، وتكون بأن يتفق فيها عدد من الشيوخ لإسماع الحديث بقراءة أحد طلاب العلم لهم يستمعون، وربما شرح أحدهم بعض ما يتعلق بالأحاديث وعلوه سندتها، وكثيراً ما نجد اشتراك شيخين أو أكثر، كاشتراك الفخر بن الباري والإمام عبد الرحمن ابن أبي عمر المقدسي، ومنها السمع على 14 شيخاً وشيخة لجزء فيه انتخاب الطبراني لابنه أبي ذر في الجامع المظفري سنة 707هـ، ومن هؤلاء المشايخ: سعد الدين أبي محمد يحيى المقدسي، ومن الشيوخ: أم محمد ست العرب، وأم حبيرة بنت إبراهيم بن عبدالله بن أبي عمر بن قدامة المقدسي.

وقد ذيلوا المحضر: صاح ذلك في يوم الأحد الثاني من ربيع الآخر سنة سبع وسبعين، بالجامع المظفري بسفح قاسيون، وأجاز لهم الشيوخ رواية جميع ما يروونه.

وقد ورد إلى الجامع المظفري كوكبة عظيمة من كبار العلماء والحافظ من شتى أنحاء العالم، فأسمعوا الحديث فيه، ومن أشهرهم:

1- حنبل بن عبد الله الرصافي المكبر (ت: 604هـ)، وهو آخر من روى المسند عن أبي القاسم بن الحُسين، وقد سمع عليه طلاب العلم الكثير من مروياته، ومنها: مسند عبدالله بن مسعود من مسند الإمام أحمد، وأحاديث منتخبة منه سنة 602هـ.

2- عمر بن محمد بن طبرزى البغدادى (ت: 607هـ)، وقد سمع عليه السلطان أحمد بن صلاح الدين الأيوبي لحديث أبي الحسين بن المظفر سنة 604هـ.

3- إسحق بن يحيى بن إسحق الأدمي الحنفي (ت: 725هـ)، وهو شيخ دار الحديث الظاهرية بدمشق، وسمع منه جماعة من طلاب العلم، وأجاز لهم جميع مروياته.

4- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ابن تيمية) الحراني، (ت: 728هـ)، وقد درس، رحمه الله، في المدرسة السكرية والمدرسة الحنبليّة بدمشق، وقد سمع من شيخه الإمام عبد الرحيم بن عبد الملك المقدسي، وإسماعيل بن أبي عبدالله العسقلاني بالجامع المظفري سنة 675هـ). وُوجِد نص السمع بخطه رحمه الله.

- 5- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الشافعي، (ت: 748هـ)، شيخ المحدثين وقدوة الحفاظ، ومؤرخ الشام، سمع على شيخه إسماعيل الفراء سنة (694هـ) بالجامع المظفرى.
- 6- إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الدمشقي (ت: 774هـ)، الإمام المفتى المحدث البارع، صاحب البداية والنهاية، سمع أحاديث أبي الحسين بن المظفر على شيخه أحمد بن المحب سنة (730هـ) بالجامع المظفرى.
- 7- أحمد بن علي بن محمد (ابن حجر العسقلاني) صاحب الفتح، (ت: 852هـ)، خاتمة الحفاظ وقاضي القضاة، أقام بالصالحية مائة يوم حصل فيها ألف جزء غير الكتب الكبار، واجتمع فيها مع الإمام إبراهيم بن مفلح الحنبلي بالجامع المظفرى.

ومن أشهر الشيوخ اللاتي أسمعن الحديث في الجامع المظفرى:

- 1- خديجة بنت عبد الرحمن بن محمد المقدسيه (ت: 701هـ)، وما سمع عليها مجلس البطاقة من أمالی حمزة الكتاني سنة 698هـ بالجامع المظفرى.
- 2- ست الفقهاء بنت إبراهيم الواسطي (ت: 726هـ)، سمع عليها نسخة الزبير بن عدي الكوفي سنة 724هـ بالجامع المظفرى.
- 3- حبيبة بنت إبراهيم المقدسيه (ت: 745هـ)، سمع منها الإمام الذهبي «انتخاب الطبراني» بالجامع المظفرى.
- 4- فاطمة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسيه الصالحية (ت: 803هـ)، سمعت من الحجّار بالجامع المظفرى، وقال ابن حجر: قرأت عليها الكثير من الكتب والأجزاء بالصالحية.
- 5- عائشة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسيه الصالحية (ت: 816هـ)، سمعت على الحجّار «صحيح البخاري» وغيره بالجامع المظفرى، وتفردت بذلك، وقرأ عليها الحافظ ابن حجر كتاباً كثيرة ك صحيح البخاري وغيره، كانت في آخر عمرها أنسد أهل الأرض.

يبتبن لنا مما سبق ذكره الدور الريادي الرفيع الذي كان يحتله هذا الجامع في النهضة الدينية العلمية في بلاد الشام، حيث جذب كبار العلماء والحافظ إليه ليدرّسوه ويدرّسوا فيه شتى العلوم، فقد كان بحق مركزاً للإشعاع الثقافي، حيث انتقلت من فوق منبره ومن حلقاته ومجالسه النهضة الثقافية العلمية بدمشق، الأمر الذي دفع بكثير من العلماء بتأليف الكتب في هذا الجامع ومنها كتاب: «جامع الحنابلة المظفرى بصالحية جبل قاسيون»، للدكتور محمد مطيع الحافظ، حيث تناول المسجد بدراسة تفصيلية تحدث فيها عن بناء الجامع وتأسيسه وخصائصه وفضائله ووصفه وأوقافه وما أصابه من نكبات منذ إنشائه حتى عصرنا الحاضر، ثم تناول دوره الريادي في النهضة الدينية والعلمية في بلاد الشام، فترجم لأئمته وخطبائه، ثم للعلماء والحافظ والمحدثين والمسندين والمدرسین المقيمين فيه أو الواردين عليه من البلاد الأخرى - من الرجال والنساء - الذين علموا أو رأوا الحديث الشريف أو سمعوه فيه، وقد ختم الكتاب بذكر أربعين حديثاً منتقاة عن أربعين شيئاً من أربعين كتاباً مسماً بالجامع المظفرى، والقصد أن تقرأ في هذا الجامع العريق ليعود اتصال السند ورواية الحديث فيه، وكان أول من قرأ هذه الأحاديث على د.الحافظ مجموعة من طلاب العلم عند زيارته للكويت سنة 1426هـ.

- 2 موقع قصة الإسلام
- 3 موقع ياسمين الشام
- 4 صحيفة تشرين
- 5 موقع رواق الحنابلة
- 6 مجلة الوعي الإسلامي الكويتية
- 7 موقع نسيم الشام

المصادر: